الفصل السادس

الرحمة في الآخرة

المبحث الأول ـ رحمة الله يوم الفصل

من رحمة الله تعالى أن كتب على نفسه الرحمة تفضلا منه وإحسانا، وجعل يومًا يحشر فيه الناس جميعا، يوم لا شك فيه، ونلاحظ اسم الرحمن يغلب على أسمائه في هذا اليوم، جاء ذلك في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾[1]، قال ابن كثير: يخبر تعالى ـــ في هذا اليوم ـــ عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء[2]، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾[3]، قال أبو السعود:

أي نجمعهم إلى الرحمن إلى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم[4]، وقال السمرقندي: ويقال: إلى الرحمن يعني إلى الرحمة وهي الجنة، ويقال: إلى الرحمن يعني إلى دار الرحمن[5].

ومن أعظم أسباب الرحمة أن حذّر من هذا اليوم العظيم، فلولا خوف العذاب والحساب فيه، لتمادى الناس في ظلمهم ولبغى بعضهم على بعض، فالذي يصرف عنه العذاب في هذا اليوم فقد رحمه الله تعالى، وفي هذا اليوم تنال الرحمة أصحاب الأعراف، وفي هذا اليوم تشمل الرحمة من تاب وعمل عملا صالح في الدنيا، فيبدل الله سيئاته حسنات، فالله واسع المغفرة كثير الرحمة في ذلك اليوم، فمن رحمة الله تعالى في هذا اليوم كذلك أن يُؤْذن للأنبياء والملائكة بأن يشفعوا في المؤمنين، حتى لا يطول عليهم الحساب، و في هذا اليوم يرحم الله المؤمنين بأن يفصل بينهم وبين المنافقين، بأن يُضرب بينهما بباب باطنه في الرحمة من جهة المؤمنين، وظاهره من قبله العذاب من جهة المنافقين، والجزاء من جنس العمل، والذي يفصل بين العباد إنه الرحمن ذو العظمة والجلال الذي وسعت رحمته

---

1 ـ النبأ (27 ـ 28).
2 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 4 /466.
3 ـ مريم (85).
4 ـ انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن اكريم، أبو السعود، 281/5.
5 ـ بحر العلوم، السمرقندي، 387/2.

كل شيء ، وفي هذا اليوم يُخرج الله كتابا من فوق العرش بأن رحمته سبحانه سبقت غضبه، في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)[1]، ليطمع الخلق في رحمته.

ثم إن الله سبحانه يرحم في هذا اليوم خلقا كثيرا ممن دخلوا النار، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش أن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله)[2] ، في يوم الفصل يكشف الله سبحانه عن التسع والتسعين رحمة الباقية ليرحم بها عباده، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (ثم إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم،فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخّرَ تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)[3].

فلقد علم الله من بني آدم ضعفهم وعجزهم وقصورهم على أن تفي أعمالهم بحق الجنة، ولا بحق نعمة واحدة من نعمه عليهم في الدنيا، فكتب على نفسه الرحمة، وقبل منهم جهد المقل القاصر الضعيف، وكتب لهم به الجنة، فضلا منه ورحمة فلم يستحقوها بعملهم ولكن بهذه الرحمة[4].

وفي الحديث الطويل منه: (...حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ[5].

1 ـ صحيح مسلم، مسلم، برقم: 4939.
2 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 137/2.
3 ـ صحيح ابن حبان، ابن حبان، 15/14.
4 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 3 /1291
5 ـ صحيح مسلم، مسلم، 16/3، كتاب الإيمان، برقم: 405.

1 ـــ من مظاهر رحمة الله يوم الفصل:

أ ـــ التحذير من يوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

فمن كمال الألوهية ومن كمال رحمة الله تعالى، جمع الناس يوم القيامة، فإذا علم الناس أن كل ما في السموات والأرض ملك لله، علموا أنه لا يهمل رعيته، ولا يجوز من حكمته ورحمته أن يسوي بين المطيع والعاصي، فهلا علموا أنه يقيم القيامة ويحضر الخلائق ويحاسبهم؟ فتأخير العذاب والإمهال إلى يوم القيامة رحمة، قال أبو السعود: وإن أمهلكم بموجب رحمته، و لم يعاجلكم بالعقوبة الدنوية، ولهذا التأخير مصلحة لعلهم يتوبوا، قال ابن الجوزي: رحمته عامة فمنها تأخير العذاب عن مستحقيه، وقبول توبة العاصي[2].

وتأخير جمعهم من أجل أن يخافوا العذاب يوم القيامة، وهذا من أعظم أسباب الرحمة، قال الإمام الرازي: وقيل: أنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فكأنه قيل: وما تلك الرحمة؟ فقيل: إنه تعالى ليجمعنّكم إلى يوم القيامة، وذلك لأنه لولا خوف العذاب يوم القيامة، لحصل الهرج والمرج، ولارتفع الضبط وكثر الخبط، فصار التهديد بيوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة في الدنيا فكان قوله: (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) كالتفسير لقوله: (كتب ربكم على نفسه الرحمة)..[3]، وقال البيضاوي: فإنه من رحمته بعثه إياكم، وإنعامه عليكم[4].

ب ـــ والرحمة تنال أصحاب الأعراف في هذا اليوم:

في يوم القيامة يجعل الله بين أهل الجنة وأهل النار حجابا، (ليمنع وصول أثر أحدهما إلى الآخر)[5]، وعلى أعالي هذا الحجاب رجال (طائفة من الموجودين قصّروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله سبحانه وتعالى فيهم ما يشاء)[6]، هؤلاء هم

1 ـ الأنعام (12).
2 ـ زاد المسير، ابن الجوزي، 9/3.
3 ـ التفسير الكبير، الرازي، 137/12.
4 ـ انظر أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، البيضاوي، 395/2.
5 ـ أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، البيضاوي، 22/3.
6 ـ نفس المرجع، 23/3.

أصحاب الأعراف يعرفون كلاً من زمر السعداء والأشقياء، بسيماهم بعلاماتهم التي أعلمهم بها، يلهمهم الله ذلك، أو تعرِّفهم الملائكة، فإذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، ورأوا ما هم فيه من العذاب، استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم[1].

وقال في التيسير: عند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار، يستجيرون من حالهم[2]، ويدعون الله أن ينجيهم من عذاب النار، وقالوا: لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ونادى أصحاب الأعراف رجالا من أصحاب النار، من رؤساء الكفر يعرفونهم بعلامات، فقالو لهم: (ما أغنى عنكم كثرتكم ولا جمعكم المال في الدنيا)[3]، فيعيرّ أصحاب النار أصحاب الأعراف، فيقسمون أن لا يدخلوا الجنة، قال البغوي: (أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا، قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة فأنتم لم تدخلوها، فيعيروهم بذلك ويقسمون أنهم يدخلون النار)[4]، قال تعالى: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[5]، قال أبو السعود: (وقيل لّما عيَّروا أصحاب النار، أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة، فقال لهم الله أو الملائكة ردا عليهم: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ ادخلوا الجنة)[6].

ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فيدخلون الجنة[7].

ج ـــ أما المتقين فإن الرحمة تغمرهم في هذا اليوم:

وفي اليوم الآخر يُحشر المتقين (إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، ولاختيار هذا الإسم في هذه السورة شأن، ولعله لأن مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام، وشرح حال الشاكرين له والكافرين بها، وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك، منتظرين لكرامتهم وإنعامهم)[8]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾[1].

---

1 ـ الكشاف، الزمخشري، 102/2.
2 ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 290/1.
3 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 23/3.
4 ـ معالم التنزيل، البغوي، 163/2
5 ـ الأعراف (49).
6 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 231/3.
7 ـ معالم التنزيل، البغوي، 163/2.
8 ـ أنوار التنزيل، البيضاوي 34/4.

هـــ ـــ ومن رحمة الله في الآخرة أن يبدل سيئات من تابوا حسنات:

في الدنيا ذكر الله تعالى (أن من صفة عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا، ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الأشياء من العقاب، ثم استثنى من جملتهم التائب، فبين تعالى أن المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن، حتى يضاف إلى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر[2]، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[3].

فالذي تاب من تلك الكبائر، ثم آمن بالله ورسوله وعمل صالحا، ففي يوم الفصل يبدل الله سيئاته حسنات، قال الإمام الرازي: قال قوم: إن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة، بحكم هذه الآية، وهذا قول سعيد بن المسيب ومكحول، ويحتجون بما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ليتمنَّينَّ أقوام أنهم أكثروا من السيئات،قيل:من هم يا رسول الله؟ قال: (الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات)، وعلى هذا التبديل في الآخرة[4]، أولئك يكرمهم الله في الآخرة فيجعل مكان السيئآت حسنات، في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيعرض عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيسأل ويعترف وهو مشفق من الكبائر فيقول الله تعالى أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول: يا رب إن لي ذنوبا ولا أراها هاهنا!؟ فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، أخرجه مسلم في صحيحه، (وكان الله غفورا يكفِّر السيآت، رحيما يبدلها بالحسنات)[5]، غفورا لما فعلوا قبل التوبة لمن تاب، رحيما بالمؤمنين بعد التوبة[6]، والتنوين في الصفتين يدل على أنه سبحانه في هذا اليوم واسع المغفرة، كثير الرحمة.

ـــ ومن يصرف عنه العذاب يوم الفصل فقد رحمه الله:

قال في التيسير: فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار وسخط الجبار، وذلك اليوم هو اليوم الذي يخاف عذابه، ويحذر عقابه لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو

---

1 ـ مريم (85).
2 ـ أنظر التفسير الكبير، الرازي، 96/24.
3 ـ الفرقان (70).
4 ـ التفسير الكبير، الرازي، 98/24.
5 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 177/3.
6 ـ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، السمرقندي، 546/2.

المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينج منه فهو الهالك الشقي[1]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[2]، وقال قتادة[3]: ومن يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله[4]، وقال البيضاوي: نجاه وأنعم عليه وذلك الفوز المبين أي الصرف أو الرحمة[5]، وقال في فتح القدير: فذلك الصرف أو الرحمة هو الفوز الظاهر الواضح[6].

ويقول الرازي: ودلت الآية على أن الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب العقاب، لأنه تعالى قال: (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه)، أي كل من صرف الله عنه العذاب في ذلك اليوم فقد رحمه، وهذا إنما يحسن لو كان ذلك الصرف واقعا على سبيل التفضل، أما لو كان واجبا مستحقا لم يحسن أن يقال فيه إنه رحمه، ألا ترى أن الذي يقبح منه أن يضرب العبد، فإذا لم يضربه لا يقال إنه رحمه، أما إذا حسن منه أن يضربه و لم يضربه فإنه يقال إنه رحمه، فهذه الآية تدل على أن كل عقاب انصرف وكل ثواب حصل، فهو ابتداء فضل وإحسان من الله تعالى، وهو موافق لما يروى[7]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِﷺ : «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلاَ أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[8].

2 ـــ من رحمة الله بالمؤمنين بعد فصل القضاء:

بعد أن يفصل الله بين الناس، يعطي الله المؤمنين نورا يمشون به، ويعطى المنافقون نورا خديعة لهم، ليرحم الله المؤمنين في هذا الموقف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

1 - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 252/1.
2 - الأنعام (15 - 16).
3 - **قتادة :** هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة، وأيام العرب والنسب، ولد سنة 61هـ، وتوفي سنة 118هـ، انظر(الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، 189/5، دار العلم للملايين - بيروت، ط5، 1400هـ/1980م، وانظر طبقات المفسرين، الداودي، 14/1، رقم الترجمة: 22).
4 - انظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 252/1.
5 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 397/2
6 - أنظر فتح القدير، الشوكاني، 104/2.
7 - التفسير الكبير، الرازي 142/12 - 143.
8 - صحيح مسلم، مسلم، 134/17، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم: 7066.

وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [1].

قال القرطبي: قال ابن عباس: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة، وقال الماوردي[2]: أظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه، وقال المفسرون: يعطي الله المؤمنين نورًا يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطى المنافقين أيضا نورًا خديعة لهم، دليله قوله تعالى: (وهو خادعهم) وقيل: إنما يعطون النور لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه، قاله ابن عباس، وقيل: يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور، وقيل: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون بعث الله فيهم ريحا وظلمة، فأطفأ بذلك نور المنافقين، فذلك قوله تعالى: (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا)[3]، يقوله المؤمنون خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواقع أقدامهم قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم قيل: ارجعوا وراءكم، أي قالت لهم الملائكة: ارجعوا، وقيل: بل هو قول المؤمنين لهم ارجعوا وراءكم، إلى الموضع الذي أخذنا منه النور، فاطلبوا هنالك لأنفسكم نورا فإنكم لا تقتبسون من نورنا، فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور، فضرب بينهم بسور،(بسور) أي حاجز بين الجنة والنار، باطنه فيه الرحمة يعني: ما يلي منه المؤمنين، وظاهره من قبله العذاب، يعني: ما يلي المنافقين... قال قتادة: هو حائط بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم، وقال مجاهد: إنه حجاب كما في الأعراف... وقد قيل إن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين[4].

---

1 ـ الحديد (13).

2 ـ **الماوردي:** هوعلي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، تفقه على أبي القاسم الصيمري وأبي حامد الإسفرايني وكان حافظا للمذهب، عظيم القدر مقدما عند السلطان، له المصنفات الكثيرة في كل فن الفقه والتفسير والأصول والأدب، ولى القضاء ببلاد كثيرة، ودرّس بالبصرة وبغداد سنين، ومن تصانيفه الحاوي في الفقه، تفسير القرآن سماه النكت، الأحكام السلطانية، أدب الدنيا والدين، الإقناع في الفقه، قانون الوزارة، سياسة الملك، وغير ذلك، روى عن الحسن بن علي الجبلي وغيره، وروى عنه الخطيب ووثقه، وآخر من روى عنه أبو العز بن كادش، وإتهم بالاعتزال، قال ابن السبكي: والصحيح أنه ليس معتزليا ولكنه يقول بالقدر، وهي البلية التي غلبت على أهل البصرة، مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين، انظر(طبقات المفسرين، السيوطي، 83/1 ـ 84، رقم الترجمة: 77).

3 ـ التحريم (8).

4 ـ انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 17/ 245 ـ 246.

ـــ ومن رحمة الله في ذلك اليوم الشفاعة:

في يوم الفصل يجمع الله الأولين والآخرين، في هذا اليوم تنقطع فيه الأسباب وتذهب الآصار، ويصير الناس إلى أعمالهم، فمن أصاب خيرا سعد به ومن أصاب شرا شقي به، ويبقى أمل للمؤمنين به سبحانه وهو الشفاعة، فمن أراد أن يرحمه الله شفَّع فيه الأنبياء والملائكة والمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ، يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ، إلاّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

قال البغوي: إن يوم الفصل يوم يفصل الرحمن بين العباد، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون، في هذا اليوم لا ينفع قريب قريبه، ولا يدفع عنه شيئا، ولا هم يمنعون من عذاب الله[2]، وقال الرازي: في قوله تعالى: (إلا من رحم الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المؤمن فإنه تشفع له الأنبياء والملائكة[3]، وقال أبو السعود: إلا من رحم الله بالعفو عنه، وقبول الشفاعة في حقه، إنه هو العزيز الذي لا ينصر من أراد تعذيبه، الرحيم لمن أراد أن يرحمه[4].

هذه بعض الإشارات التي أشارت إليها الآيات في القرآن الكريم، عن رحمة الله يوم الفصل.

1 ـ الدخان (40 ـ 42).
2 ـ أنظر معالم التنزيل، البغوي، 154/4.
3 ـ التفسير الكبير، الرازي، 215/27.
4 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 65/8.

المبحث الثاني : رحمة الله في دار الخلد (الجنة)

جعل الله تعالى الجنة دار رحمته ومستقرها يوم القيامة، يرحم بها من شاء من عباده، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاء النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّار : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا[1].

تأتي البشارة من الله تعالى لعباده في الدنيا، بأن الذين آمنوا واستقاموا لهم الجنّة، لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم، ولهم كل ما يطلبونه أنزلهم إياها الرحيم بمغفرته ورحمته، بل لا يستطيعون تصور ذلك النعيم، كما في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْراً، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللّهُ عَلَيهِ»[2]، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[3].

ثم بيّن الله تعالى صفات أصحاب اليمين بأنهم كانوا في الدنيا يتواصوْن بالمرحمة فيما بينهم، زيادة على سبقهم في اقتحام العقبة وإيمانهم وصبرهم.

والجنّة يُدخلها الله من شاء من عباده المؤمنين، الذين كانوا يطلبون عونه على طاعته، وأن يوفقهم إلى الهدى، ثم يعطي الله علامة يتميز بها الذين وجبت لهم الجنة بشارة لهم، قبل دخولها، ثم يصف الله نعيم الجنّة وتنعّم أهلها السعداء، وهم مشغولون يهْنئون بما قدموا في الدنيا من تقوى وعمل صالح، ثم يزيدهم نعيما إلى نعيمهم بأن يلحق بهم ذريتهم

1 ـ صحيح البخاري، البخاري، برقم: 4472 ـ كتاب تفسير القرآن.
2 ـ صحيح مسلم، مسلم، 139/17، كتاب الجنة وصفها ونعيمها وأهلها، برقم: 7083.
3 ـ السجدة (17).

المؤمنين، استحقوا كل هذا لأنهم كانوا عبيدا لله يتضرعون إليه، فاستجاب لهم، لأنه المحسن المتفضل على عباده بالمغفرة وبالرحمة.

1 ــ البشارة بنعيم الجنة:

أ ــ مصير المؤمنين الذين استقاموا:

قال ابن كثير: (أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان: لا تخف ولا تحزن ــ ثم يبشرانه بالجنّة ــ فيُؤَمِنُ الله تعالى خوفه ويُقِر عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين، لما هداه الله تبارك وتعالى، ولِما كان يعمل في الدنيا، قيل: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث رواه بن أبي حاتم وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع..

ثم تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا قرنائكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، ولكم في الجنة من جميع ما تختارون، مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون، ولكم فيها ما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم)[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[2].

قال في التيسير: هذا الثواب الجزيل والنعيم المقيم، نزل وضيافة من غفور غفر لكم السيئات، رحيم حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم، فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته أنالكم المطلوب[3].

ويقول سيد قطب: ويزيدونها لهم جمالاً وكرامة: (نزلاً من غفور رحيم)، فهي من عند الله أنزلكم إياها بمغفرته ورحمته، فأي نعيم بعد هذا النعيم[4]؟.

1 ـ انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 100/4.
2 ـ فصلت (30 ـ 32).
3 ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 749/1.
4 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 3121.

وفي البشارة بالجنة جاء في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّـــهِ ﷺ : (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)، فَقُلْتُ: يَـــا نَبِيَّ اللَّهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ!، فَقَالَ: (لَيْسَ كَذَلِكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَـــذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)[1].

ب ـــ المؤمنون يدخلهم الله في رحمته بمشيئته:

الله تعالى يدخل يوم القيامة من شاء من عباده جنته ورضوانه، حسب مشيئته وحكمته وهم المؤمنون، وأما المشركون الظالمون فقد هيأ لهم عذابا شديدا مؤلما في دار الجحيم، قال السمرقندي: ويقال يدخل من يشاء في رحمته يعني في نعمته وهي الجنة في رحمته وفضله، ويدخل الظالمين في عذاب أليم[2]، وقال الرازي: ويدل على أن دخول الجنة والنار لـــيس إلا بمشيئة الله[3]، وقال سيد قطب: هي المشيئة المطلقة تتصرف بما تريد، ومن إرادتهـــا أن يدخل في رحمته من يشاء، ممن يلتجئون إليه، يطلبون عونه على الطاعـــة، وتوفيقـــه إلى الهدى.. والظالمين أعد لهم عذابا أليما، وقد أملى لهم وأمهلهم لينتهوا إلى هذا العـــذاب الأليم!، قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيمـــاً﴾[4]، وهذا الختام يلتئم مع المطلع، ويصور نهاية الابتلاء، الذي خلق الله له الإنسان من نطفـــة أمشاج، ووهبه السمع والأبصار، وهداه السبيل إما إلى جنة وإما إلى نار[5].

ج ـــ من صفات أصحاب اليمين أنهم كانوا يتواصون بالمرحمة في الدنيا:

بيّن الله تعالى في كتابه من هم أصحاب الميمنة ـــ أصحاب اليمين ـــ وهم في الجنـــة يتنعمون، بعد أن ذكر صفاتهم، قال تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ،أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالـــصَّبْرِ وَتَوَاصَـــوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[6]، وصفاتهم أنهم الذين اقتحموا العقبة، (قال الحسن[7]: عقبـــة الله شـــديدة

1 ـ صحيح مسلم، مسلم :4845 ـ الذكر والدعاء.
2 ـ بحر العلوم، السمرقندي، 508/3.
3 ـ التفسير الكبير، الرازي، 231/30.
4 ـ الانسان (31).
5 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 3787/6.
6 ـ البلد (11 ـ 17).
7 ـ **الحسن البصري:** هو الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري، ثقة فاضل مشهور، كان يرسل كثيرا ويدلس، توفي سنة (110هجرية)، انظر(تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ترجمة رقم: 1227).

وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن)[1]، بفك رقبة، وهي كما في الحديث الإعانة على فكها بالثمن، روى البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة؟ قال: عتق النسمة، وفك الرقبة، قال: يا رسول الله أوليسا واحدا؟ قال: لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها)، أو إخراج المال أو إطعام الطعام وقت القحط والضرورة، ثم كان من الذين آمنوا قال الرازي: أي كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات ولا مقتحما للعقبة، وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، ثم قال الرازي: فالمعنى أنه كان يوصي بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو الصبر على المعاصي وعلى الطاعات والمحن، التي يبتلي بها المؤمن، ثم ضم إليه التواصي بالمرحمة، وهو أن يحث بعضهم بعضا على أن يرحم المظلوم أو الفقير، أو يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه، لأن كل ذلك داخل في الرحمة[2]، وأصحاب اليمن قد وصف الله حالهم في الجنة وهم يتنعمون فيها قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ(27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ(28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ(31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً(35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (36) عُرُباً أَتْرَاباً (37) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[3].

2 ـــ في جنات النعيم:

أ ـــ الخلود في رحمة الله:

بعد الحساب يعطي الله تعالى علامة لأهل الجنة، وهي بمثابة بشارة لهم، هؤلاء قد غمرهم الرحمة، بدخولهم الجنّة، لأن الجنة محل رحمة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

وأما الذين ابيضت وجوههم فهم الذين استقاموا على إيمانهم وأخلصوا له الدين، فبيّض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته[5]، فهم في رحمة الله، [1] قال ابن عباس: المراد

1 ـ التفسير الكبير، الرازي، 167/31.
2 ـ التفسير الكبير، الرازي، 169/31 ـ 170.
3 ـ الواقعة (27 ـ 38).
4 ـ آل عمران (107).
5 ـ الدر المنثور، السيوطي، 292/2.

الجنة[2]، وقال ابن كثير: يعني الجنة ماكثون فيها أبدا لا يبغون عنها حولا[3]، وقال النسفي: و لا يظعنون عنها ولا يموتون[4].

قال البيضاوي: عبّر عن ذلك بالرحمة، تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى، لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله[5].

ب ـــ من نعيم أصحاب الجنة السلام من الرب الرحيم:

ما يناله أصحاب الجنة من نعيم كان بفضل ورحمة الرب الرحيم، فبينما هم في نعيمهم إذ يسلم عليهم ربهم، ويذكرهم بأن هذا السلام من ربهم الذي رحمهم، بأن أنعم عليهم بدخول الجنة التي يتنعمون فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ، سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[6].

قال في التيسير: فبدأ بجزاء أهل الجنة وأخبر أنهم في ذلك اليوم في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس وتلذه العيون ويتمناه المتمنون، ومن ذلك لقاء العذارى الجميلات، كما قال: (هم وأزواجهم) من الحور العين اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق، في السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن، متكئون عليه اتكاءً دالا على كمال الراحة والطمأنينة واللذة، لهم فيها فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان وغيرها، ولهم ما يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، ولهم أيضا سلام حاصل لهم قولا من رب رحيم، ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم وأكده بقوله: (قولا) وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا[7].

---

1 ـ يقول السيوطي في الإتقان: إطلاق إسم الحال على المحل نحو ففي رحمة الله هم فيها خالدون أي في الجنة لأنها محل الرحمة.
2 ـ التفسير الكبير، الرازي، 151/8.
3 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 391/1.
4 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 171/1.
5 ـ تفسير البيضاوي 77/2.
6 ـ يس (55 ـ 58).
7 ـ تيسير المنان الكريم، السعدي، 697/1 ـ 698.

وفي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبَ رَحِيمٍ} قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»[1]

ـــ تنعم أهل الجنة برحمة البر الرحيم:

إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم في الآخرة في بساتين عظيمة ونعيم مقيم خالد، قال ابن كثير: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك، وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2].

وفي الجنة بتجاذب أهلها أطراف الحديث تلذذا، وتذكيرا بما نالوه من نعم البر الرحيم، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[3].

وأقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن أعملاهم وأحوالهم في الدنيا، تلذذا بالحديث، واعترافا بالنعمة: قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا[4]، وقال في التيسير: قال المسؤولون: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أمور الدنيا وأحوالها،قالوا في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة والسرور: إنا كنا قبل في دار الدنيا في أهلنا خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب، فمنَّ الله علينا بالهداية والتوفيق[5]، وقال البيضاوي: فمنَّ الله علينا بالرحمة والتوفيق[6]، ثم يقول السعدي: ووقانا العذاب الحار الشديد حره، إنا كنا من قبل ندعوه أن يقينا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم ـــ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة ـــ أي لم نزل

1 ـ سنن ابن ماجة، ابن ماجة، 66/1، باب فضائل أصحاب رسول الله.
2 ـ انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 242/4.
3 ـ الطور (17 ـ 28).
4 ـ معالم التنزيل، البغوي، 240/4.
5 ـ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 815/1.
6 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 248/5.

نتقرب إليه بأنواع العبادات، وندعوه في سائر الأوقات، إنه هو البر الرحيم، فمن بره ورحمته إيانا أن أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار[1]، قال الفخر الرازي: والآية إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى السعة ويزداد الكافر ألما حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ، وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[3].

وفي الحديث وصف الرسول ﷺ الجنة ونعيمها دار الخلد ودار رحمة الله تعالى:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد أزداد حسنا وطيبا، فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد أعجابا، وقال أبن أبي شيبة حدثنا معاوية أبن هشام عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن أبن عمر قال قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران[4].

ذلك محل رحمة الله (الجنّة)، أقصى ما يتمناه المؤمن من الرحمة، فهل من مشمّر للجنة؟ وهذه صفتها كما يصفها رسول ﷺ في الحديث، عن أسامةَ بنِ زيد قال : قال النبيﷺ

1 ـ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 815/1.
2 ـ التفسير الكبير، الرازي، 218/28.
3 ـ الطور (17 ـ 28).
4 ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، 91/1، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ذاتَ يومٍ لأصحابه: «أَلاَ هَلْ مُشَمِّرٍ للجنةِ، فإنَّ الجَنةَ لا خَطَر لها، هي وربِّ الكعبةِ نـــورٌ يتلألأُ، ورَيْحانةٌ تَهْتَزُّ، وقَصْرٌ مُشَيَّدٌ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وفاكهةٌ كَثيرةٌ نَضِيجةٌ، وزوجةٌ حـــسناءُ جَميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، في مَقامٍ أبداً، في حَبْرَةٍ ونَضْرةٍ، في دارٍ عاليةٍ سليمةٍ بَهيَّةٍ» قالوا: نحنُ المُشَمِّرُونَ لها يا رسولَ الله، قالَ: «قولوا: إنْ شاءَ اللَّهُ» ثُمَّ ذكرَ الجِهادَ وحَضَّ عليهِ[1].

إنها الجنّة دار رحمة الله تعالى، جمعت كل الرحمات، التي ذكرنا، إنها ذروة الرحمة، ونهاية المطاف، بعد مسيرة من الإيمان الصادق والعمل الصالح واليقين والثبات، يحملهم بجنـــاحي الخوف والرجاء إلى بلاد الأفراح، جنات النعيم.

1 ـ صحيح ابن حبان، ابن حبان، 412/6، كتاب صفة الجنة وأهلها، برقم: 7267.